ثقافات سايبورغ

المبحث التاسع من القسم الثالث في كتاب Cultural Geography

جوديث تسوفاليس

ترجمة بتصرف

أ.د. مضر خليل عمر

تخيل عالماً لم تعد فيه الحدود المفاهيمية بين الكيانات / "الأشياء" أو العمليات التي أدركتها ومعالجتها على أنها منفصلة ومتميزة منطقيا . عالم يمكن فيه استبدال أجزاء مختلفة من جسمك بأطراف اصطناعية وزرع اصطناعي وأعضاء حيوانية لتحسين أو إطالة حياتك ، مما يثير السؤال : **هل أنت إنسان أم آلة أم حيوان؟** عالم يمكن فيه استنساخ حيوانك الأليف للتخفيف من حزنك على فقدانه والنباتات المعدلة وراثيًا لتناسب مُثُل الجمال ، إن لم يكن الذوق . في هذا العالم ، يمكن أن تساعد الروبوتات في تقليل عبء العمل الخاص بك ، ويتم تداول المعلومات المتعلقة بك عبر الشبكات الإلكترونية والآلات الخاصة بالبنوك وشركات التأمين والتسويق ، مما يؤثر على أسلوب حياتك ويراقبه . قد تتردد الى غرفة دردشة عبر الإنترنت وتفترض هوية وجنس مختلفين ، مما يجعل "**نفسك الحقيقية**" مخفية إلى الأبد في المتاهة الرقمية .

بالنسبة للكثيرين ، هذا العالم هو بالفعل حقيقة ؛ عالم لم تعد فيه التقسيمات "المنطقية" بين الفئات والمفاهيم مثل "الطبيعة" و "الثقافة" و "الإنسان" و "الآلة" و "هي" و "هو" ذات معنى كبير . لقد بدأت الأشياء والعمليات التي تشملها وتحددها تختلط وتندمج . لقد بدأوا في الانتشار بمثل هذه المعدلات السريعة وفي مثل هذه الأشكال غير المستقرة والأبراج والتحالفات الزمنية لتحدي الثبات الذي فرضته عليهم حدود عمليات صنع المعنى السابقة . **هذا هو عالم السايبورغ** ، "**مخلوق من الواقع الاجتماعي بالإضافة إلى مخلوق من الخيال**" ، كما وصفته دونا هارواي (1994) في "بيانها المؤثر عن السايبورغ في منتصف الثمانينيات" ؛ مخلوق من خصائصه المميزة أنه لا يمكن تعريفه . السايبورغ يراوغ ويتجاوز الحدود ؛ إنهم يزعزعون استقرار المعاني ووجهات النظر المسلمة للعالم . إنهم ، على الدوام ، في حالة تنقل ، وينشغلون بإعادة تشكيل العالم كما نعرفه ، بما في ذلك تصوراتنا عنه وعن أنفسنا . بالنسبة إلى Haraway ، بحلول أواخر القرن العشرين ، أصبحنا جميعًا "خيمرات ، هجينة مفترضة ومُصنَّعة للآلة والكائن الحي" . بعبارة أخرى ، أصبحنا جميعًا "سايبورغ" (Haraway 1994، 83؛ Haraway 1991). كيف نصل الي هناك؟

لفهم كيفية ظهور حقائق سايبورغ والتخيلات والاستعارات ، من الضروري النظر في العمليات الاجتماعية والأحلام والكوابيس التي أدت إلى إنتاجها الفعلي والخطابي في العالم الغربي . أولاً ، فيما يتعلق بإنتاجهم الفعلي ، تجدر الإشارة إلى أن مصطلح "سايبورغ" هو في حد ذاته هجين : نتيجة اندماج المصطلحين "سايبرنيتيك" و "كائن حي" (يمكن تعريف "هجين" على أنه "أي شيء مشتق من مصادر غير متجانسة أو تتكون من عناصر من أنواع مختلفة أو غير متناسقة '(Hables Gray 1995، 275). علم التحكم الآلي تأسس في عام 1947 من قبل عالم الرياضيات الأمريكي نوربرت وينر ، وكان في البداية معنيا بدراسة استخدام آليات التغذية الراجعة في أنظمة التحكم لإنتاج العمليات . تطور تدريجياً إلى علم الأنظمة وتنظيمها الذاتي ، والتنظيم والتكاثر ، والتطور في المختبرات للأشياء غير الحية التي تتصرف مثل الأنظمة الحية . وتشمل هذه "الأشياء" في الوقت الحاضر ، من بين أمور أخرى ، الأطراف الاصطناعية والقلب أجهزة تنظيم ضربات القلب وغرسات جذع الدماغ السمعية ، بالإضافة إلى الروبوتات المزودة بأجهزة استشعار مبرمجة لاتخاذ القرارات وألعاب الروبوت وأنظمة المصنع المؤتمتة بالكامل مع آلات صنع القرار التي تعمل حتى المستوى الإداري .

صاغ مصطلح "سايبورغ" في عام 1960 مانفريد إي كلاينز وناثان إس. كلاين من مختبر المحاكاة الديناميكية في مستشفى روكلاند ستيت في نيويورك . كان كلاينز وكلين يبحثان في كيفية تعزيز الوظائف الجسدية للبشر لتمكينهم من التكيف مع السفر في الفضاء والبيئات خارج كوكب الأرض (Hables Gray 1995

، 29-33). وفي الوقت نفسه ، أجريت أيضًا أبحاث في علم الأدوية النفسي على الغرسات الكيميائية العصبية والقياس عن بُعد في مستشفى روكلاند ستيتس . ارتبطت مجالات البحث هذه ارتباطًا وثيقًا بمتابعة الحرب الباردة في الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي ، مثل أبحاث التحكم في السلوك التي ترعاها وكالة المخابرات المركزية (Hables Gray 1995، xvi). منذ ذلك الحين ، ازداد عدد السايبورغ في العالم الحقيقي وتضاعف بمعدل أسرع من أي وقت مضى في ثنايا شبكات العلوم والتكنولوجيا التي نسجتها الرأسمالية المتأخرة ، متجاوزة العديد من الحدود المفاهيمية التي كانت تعد حتى الآن كأمر مسلم به : بين التفرد والتكرار (على سبيل المثال استنساخ الكائنات الحية) ؛ العشوائية والقدرة على التنبؤ (مثل اختيار جنس الجنين) ؛ الحيوان والبشر (مثل عمليات زرع الأعضاء المعدلة وراثيًا) ؛ العامة والخاصة (مثل تسجيل براءات اختراع لتسلسل الحمض النووي) ؛ والحياة والموت (مثل الإخصاب بعد الوفاة) (Pepperell and Punt 2000، 82).

ومع ذلك ، فإن قصص السايبورغ ، شاغلنا الثاني ، أقدم بكثير من مخلوقات القرن العشرين للواقع الاجتماعي التي وصفناها للتو . لقد سبقت عصر الفضاء والحرب الباردة والعصر الرقمي بما يقرب من قرنين من الزمان ، وعكست في البداية الاستجابة الرومانسية للإمكانيات والمخاطر التي تشكلها الاكتشافات العلمية والتكنولوجية والابتكارات التي تم إجراؤها خلال الثورة الصناعية . ثم ، كما هو الحال الآن ، تساءلوا عن مساعي البشر القاسية ، والتي يُفترض أنها حديثة وتقدمية ، **لكسب القوة والسيطرة على "الطبيعة"** . في رواية فرانكنشتاين لماري شيلي ، نُشرت عام 1818 ، وجدنا ما يمكن وصفه بأنه أول سايبورغ خيالي - كائن تم إحضاره للعيش من خلال إعادة الرسوم المتحركة والكهرباء لأجزاء الجسم المتوفاة سابقًا . يصور فرانكشتاين على أنه "الوحش" الذي ينقلب ضد خالقه ، الذي ، في إدراك مروع لما فعله ، تخلى عنه لمصيره ، يقف اليوم كناية عن مساعي علمية مشكوك فيها أخلاقيا ؛ يستخدم بشكل شائع لوصف الكائنات الحية المعدلة وراثيًا ، وخاصة المحاصيل الغذائية (المعروفة أيضًا باسم "محاصيل / أغذية فرانكشتاين") ، **والآثار الضارة التي قد تحدثها على بيئتهم** . في فيلم Metropolis للمخرج فريتز لانغ عام 1926 ، تدخل الروبوتات المشهد ، ونرى هنا أصول الإنسان الآلي ، والصناعي (وأيضًا ، أول أنثى). ربما يكون سايبورغ الوهمي الأكثر شهرة في القرن العشرين والذي ينتمي إلى هذا النوع هو سايبورغ ووريور تيرميناتور ، الذي لعبه أرنولد شوارزنيجر في Terminator I (1984) و Terminator II (1991). إن Terminator II جدير بالملاحظة بشكل خاص لنموذج سايبورغ "المتقدم" ، والذي يجب على نسخة سايبورغ الأقدم ، شوارزنيجر ، محاربته . يمكن لهذا السايبورغ ، الذي يُطلق عليه "ناقل الشكل" ، أن يأخذ الخصائص الفيزيائية لأي شخص أو أيًا كان على اتصال به - سواء كان عضويًا أو غير عضوي . إنه سايبورغ غير قابل للتدمير تقريبًا (على الرغم من أن شوارزنيجر ، بالطبع ، بالطريقة الحقيقية للبطل الكلاسيكي ، تمكن من "القضاء عليه" في النهاية) . ظهرت Cyborgs في العديد من الأشكال والأشكال الأخرى في روايات الخيال العلمي والأفلام وألعاب الفيديو على مدار القرن العشرين (للحصول على نظرة عامة شاملة Hables Gray 1995، 473-477) ، وأصبحت صنمًا للقوة والجنس والخلود ، وكذلك الفجور (من نتاج العلم غير المسؤول). بطريقة ما ، إبداع حديث تمامًا ، تعكس التخيلات السايبورغية الحرجة ، يمكن للمرء أن يقول حتى ما بعد الحداثة ، المشاركة مع المثاليات الفاضلة والتنوير الحداثية والأنظمة المفاهيمية المرتبطة بها .

موضوعنا الثالث والمركزي هنا هو الطرق التي واجهتها الأوساط الأكاديمية للتحديات الأنطولوجية والمعرفية التي تطرحها السايبورغ - سواء كانت حقيقية أو متخيلة . إن الإدخال الواسع النطاق لاستعارة السايبورغ في الجغرافيا والأنثروبولوجيا والنظرية السياسية والدراسات الثقافية وعلم الاجتماع (العلوم) والفلسفة تدين بالكثير لبيان هارواي عن السايبورغ المذكور سابقًا (Haraway 1994). الكتابة من منظور نسوي اشتراكي ، تستخدم هاراواي السايبورغ كاستعارة لتسليط الضوء على التعسف في الانقسامات المفروضة من الناحية المفاهيمية بين الكيانات والعمليات التي تراها مترابطة بطرق معقدة . بعبارة أخرى ، فإن سايبورغ هي موقفها من تجاوز الحدود . في بيانها الخاص بالسايبورغ ، تصف ثلاثة تجاوزات للحدود على أنها بالغة الأهمية : أولاً ، الانتهاكات بين الإنسان والحيوان . ثانيًا ، ذلك بين الحيوان / الإنسان (الكائن الحي) والآلة ؛

وثالثاً ما بين المادي وغير المادي . يقدم التحدي الذي يمثله استعارة سايبورغ على الأنطولوجيا الأرثوذكسية ونظريات المعرفة ، بالنسبة لهاراواي ، استراتيجية سياسية لتقويض البنى الفلسفية والثقافية السائدة (الغربية) للعالم . في مقالتها ، البناءات الجنسانية هي محور التركيز ، وتشير أيضًا إلى أنه على الرغم من أن السايبورغ الفعلي قد يمر دون أن يلاحظه أحد إلى حد كبير في مجتمع اليوم ، إلا أنه يتم إنتاجه بأعداد متزايدة بواسطة شبكات تقنية علمية واسعة مدعومة بتدفقات رأس المال التي تبحث عن ربح ، إن لم يكن ، فعليًا للقتل . (معظم تقنيات السايبورغ عسكرية في الأصل وتستخدم لأغراض عسكرية ، كما حدث أثناء حروب الخليج). بالنسبة لهاراواي ، يتحدى السايبورغ التقاليد المختلفة للعلم والسياسة الغربيين : "تقليد الرأسمالية العنصرية التي يهيمن عليها الذكور ؛ تقليد التقدم . تقليد استملاك الطبيعة كمورد لإنتاج الثقافة ؛ تقليد استنساخ الذات من انعكاسات الآخر (1994 ، 83).

تمامًا كما تستمر سايبورغ في العالم الحقيقي في التكاثر بلا هوادة داخل دوائر رأس المال والعلوم والتكنولوجيا ، كذلك تفعل استعارات السايبورغ في مختلف المناقشات الأكاديمية . في الجغرافيا ، ربما تم استخدامه بشكل أكثر إبداعًا لزعزعة استقرار الثنائية المسلم بها بين "**الطبيعة" و "الثقافة" / "المجتمع** " Demeritt 1994)؛ 2001 .(هذه الثنائية ، التي تدعم تقسيم الجغرافيا إلى الجغرافيا "الطبيعية" و "البشرية" ، موضع تساؤل متزايد من قبل الجغرافيين الحريصين على إيجاد طرقا لإنصاف العلاقات المتبادلة المعقدة بينهما . وهكذا استخدم الجغرافيون في المناطق الحضرية استعارة سايبورغ للدفاع ضد مفهوم الفطرة السليمة للمدن كونها غير طبيعية على سبيل المثال Kaika and Swyngedouw 2000 ؛ Swyngedouw 1996 ؛ Harvey 1996 ؛ Gandy 2002).

لقد أبرزت استعارة السايبورغ - وما يرتبط بها من استعارة الهجين (Whatmore 1999) - حقيقة أن "الطبيعة" و "الثقافة" هي بنيات اجتماعية مبنية على افتراض حالة وجود نقية . وقد أثار أيضًا تساؤلات حول التأثيرات الإيديولوجية للثنائيات ، مثل الروابط المفاهيمية المشتركة بين "الطبيعة" و "الطبيعي" و "الطبيعي" و "غير الطبيعي" و "غير الطبيعي" و "المصطنع". أصبح إدراك أن الكيانات والعمليات والخطابات والأفكار لا يمكن فهمها ما لم يتم النظر إليها بطريقة علائقية ، وادعاءات أننا بحاجة إلى لغة جديدة لوصف هذه " الحقائق السايبورغية " ، **أصبح مصدر قلق مركزي في الجغرافيا** (Harvey and Haraway 1995) . كما قال إريك سوينجدو (Erik Swyngedouw) (1999 ، 445) ، "لا تعمل الظروف والعمليات الأذينية أو البيئية بشكل منفصل عن العمليات الاجتماعية ، و ... الظروف الاجتماعية القائمة بالفعل هي دائمًا نتيجة للتحولات المعقدة للتكوينات الموجودة مسبقًا والتي هم أنفسهم طبيعيون واجتماعيون بطبيعتهم . "إحدى الطرق التي تم بها معالجة ذلك كانت من خلال نظرية شبكة الممثلين (Castree and MacMillan 2001، 208-224 ، للمراجعة).

هناك مجال آخر في الجغرافيا حيث أصبحت استعارة السايبورغ تلعب دورًا رئيسيًا حيث كانت الأسئلة المتعلقة بالعرق والجنس والجندر والهوية ذات أهمية رئيسية . طمس حدود هذه المفاهيم ، تحدى استعارة السايبورغ الطرق المسلمة التي غالبًا ما يُنظر إليها بها . كما أثارت أسئلة مهمة حول السياسة التي تحاول الحفاظ على ثبات معانيها وعدم تغييرها . ومن ثم ، في ما يشار إليه أحيانًا باسم " جغرافيات تكوين الذات " ، فإن استعارة السايبورغ (ومرة أخرى ، استعارة " الهجين ") قد وفرت وسيلة فعالة لتقويض وتعطيل إنشاءات الهويات "النقية" والمحدودة بوضوح بما في ذلك "الذات" و "الآخر" . على هذا النحو ، فهو مرتبط بخطابات أوسع حول الذاتية ، بما في ذلك تلك المتعلقة بالعولمة ، وقد تم استخدامه بالاقتران مع الاستعارات الشائعة الأخرى حاليًا في الجغرافيا ، مثل تلك الخاصة بالرحل ، والفضاء الثالث ، والفضاء المتناقض (بايل والتوفير 1995 ؛ سوجا 1996). أصبحت استعارة السايبورغ تلعب دورًا مهمًا في سياسات الهوية ، وتم تناولها في العديد من المجالات الفرعية للجغرافيا ، بما في ذلك جغرافية الثقافة وجغرافية السياسة والجغرافيا الطبية وجدت أسئلة ومخاوف مماثلة لتلك الموضحة أعلاه ، بطريقة سايبورغ الحقيقية ، طريقها إلى العديد من التخصصات الأكاديمية الأخرى . ينبغي النظر إلى انتشارها فيما يتعلق بالتحولات الأوسع في التفكير التي

لعبت دورًا مهمًا في الدراسة الأكاديمية في العقود القليلة الماضية من القرن العشرين : ما بعد الحداثة وما بعد البنيوية وما بعد الاستعمار .

علماء سايبورغ ، **الآن يتحدثون عن عالم ما بعد الإنسان** (Hayles 1999). لا شك أن هذه التحولات في الإدراك ناتجة عن تغييرات مادية في ممارساتنا ومحيطنا ، وعلى الرغم من التأثيرات الإيجابية التي أحدثتها استعارات السايبورغ في العالم الحقيقي واستعارات السايبورغ على تفكيرنا ، فربما لا ينبغي أن ننسى أن " **قضايا السايبورغ على وجه التحديد من الرأسمالية الصناعية العسكرية ، التي تستند إلى دولة الحرب بشكل دائم ، في الحرب العالمية الثانية والحرب الباردة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية** " (Harvey and Haraway 1995، 514).

KEY REFERENCES

Castree, N. and MacMillan, T. 2001. Dissolving dualisms: actor-networks and the reimagination of nature, in N. Castree and B. Braun eds. Social Nature: Theory, Practice and Politics. Oxford, Blackwell, 208–224.
Demeritt, D. 1994. The nature of metaphors in cultural geography and environmental history, Progress in Human Geography, 18: 163–185.
Hables Gray, C. ed. 1995. The Cyborg Handbook. London, Routledge.
Haraway, D. 1994. A manifesto for cyborgs: science, technology, and socialist feminism in the 1980s, in S. Seidman ed. The Postmodern Turn: New Perspectives on Social Theory. Cambridge, Cambridge University Press, 82–115.
Haraway D. and Harvey, D. 1995. Nature, politics and possibilities: a debate and discussion with David Harvey and Donna Haraway, Environment and Planning D: Society and Space, 13: 507–527.
Pile, S. and Thrift, N. eds. 1995. Mapping the Subject: Geographies of Cultural Transformation. London, Routledge.
Swyngedouw, E. 1996. The city as a hybrid: on the nature, society and cyborg urbanisation, Capitalism, Nature, Socialism, 7, 2: 65–80.

OTHER REFERENCES

Demeritt, D. 2001. Being constructive about nature, in N. Castree and B. Braun eds.
Social Nature: Theory, Practice and Politics. Oxford, Blackwell, 22–40.
Gandy, M. 2002. Concrete and Clay: Reworking Nature in New York City. Cambridge, MA, MIT Press.
Haraway, D. 1991. Simians, Cyborgs and Women: The Reinvention of Nature. London, Free Association Books.
Harvey, D. 1996. Justice, Nature and the Geography of Difference. Oxford, Blackwell. Hayles, N.K. 1999. How We became Posthuman: Virtual Bodies in Cybernetics, Literature, and Informatics. Chicago, University of Chicago Press.
Kaika, M. and Swyngedouw, E. 2000. Fetishising the modern city: the phantasmagoria of urban technological networks, International Journal of Urban and Regional Research, 24, 1: 120–138.
Pepperell, R. and Punt, M. 2000. The Postdigital Membrane: Imagination, Technology and Desire. Bristol, Intellect Books.
Soja, E. W. 1996. Thirdspace. Oxford, Blackwell.
Swyngedouw, E. 1999. Modernity and hybridity: nature, regeneracionismo, and the production of the Spanish waterscape, 1890–1930, Annals of the Association of American Geographers, 89, 3: 443–465.
Whatmore, S. 1999. Hybrid geographies, in D. Massey, J. Allen and P. Sarre eds.
Human Geography Today. Cambridge, Polity, 22–40.